@ 377 @ (^ إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين (29) أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) * * * * قالوا ، ولم يقولوا ، والجواب المعروف : أن المراد منه إبليس لعنه ا ؛ فإنه دعا الناس إلى طاعته ، فهو معنى قوله : (^ ومن يقل منهم إني إله) وهذا دليل على أن من دعا إنسانا إلى طاعته في معصية الخالق فكأنه قال : اعبدني أو اتخذني إلها . .

قوله تعالى : (^ أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) فإن قال قائل : قد قال : أو لم ير الكفار ، [و] لم يروا شيئا من هذا ولا المسلمون ! والجواب عنه : أن معناه أو لم يعلموا بإخبارك إياهم ، وقيل : أو لم يخبروا . وأما الرتق في اللغة هو السد ، والفتق هو الشق ، قال الشاعر : .

(يهون عليهم إذا يغضبون % سخط العداة وإرغامها) .

(ورتق الفتوق وفتق الرتوق % ونقض الأمور وإبرامها) .

وأما معنى الآية : قال ابن عباس : قوله : (^ كانتا رتقا) أي : كان السماء والأرض ملتصقين ، ففتقناهما بالهواء ، وقال غيره : معناه : كان السماء شيئا واحدا ، ففتقناها ، وجعلناها سبع سموات ، وكانت الأرض شيئا واحدا ففتقناها ، وجعلناها سبع أرضين ، والقول الثالث قاله مجاهد : فتقنا السماء بالمطر ، والأرض بالنبات . .

وقوله : (^ وجعلنا من الماء كل شيء حي) فإن قال قائل : قد خلق بعض ما هو حي من غير الماء ، فكيف يستقيم قوله : (^ وجعلنا من الماء كل شيء حي) ؟ وأيضا فإن الإنسان قد يموت بالماء ، والشجر والنبات قد يهلك بالماء ؟ والجواب من وجهين : أحدهما : أن الماء هاهنا هو النطفة ، والحي هو الآدمي ، ومعناه : كل شيء حي من الآدمي . والجواب الثاني : أن هذا على وجه التكثير ، وأكثر الأحياء في الأرض إنما هو مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء ، فاستقام معنى الآية من هذا الوجه .